«هذا ما يثير اهتمامي،
أولئك الذين لم يصنعوا
التاريخ، أولئك الذين
يتلقون آثاره، أولئك الذين
لا يُذكر اسمهم، أشخاصا
مثل جدتي وجدي، هؤلاء
الأشخاص النموذجيين
الذين لم يكتبوا التاريخ.»

ميشيل أودان

في خدمة المنسيين

ميشيل أودان

حوارها لمين عمارخوجة

من خلال تجولي في إحدى المكتبات بباريس، صادفت لأول مرة كتابًا لميشيل أودان Michèle Audin، وكان ما جذبني هو الاسم «أودان»؛ ذلك الاسم الذي كنت أسمعه باستمرار عند مروري بتقاطع شارع ديدوش مراد وشارع محمد الخامس... بعد قراءتي هذا الكتاب وإعجابي به، اكتشفت أن ميشيل أودان قد ألّفت ثمانية كتب في المُجمل، بما فيهم Une vie brève «حياة موجزة»، كتابها الأول عن والدها موريس أودان، نفسه من سمِّيَت باسمه الساحة الكائنة بتقاطع الشارعين.

نشرت كتبها الثمانية خلال عشر سنوات (بين عامي 2013 و2023)، مسلّطة الضوء على مواضيع متكررة ترتبط بفكرة الفقدان، والنسيان، والسياسة والرياضيات والأدب وكمونة باريس[1] والتاريخ، وتاريخ المرأة على وجه الخصوص.

غالبًا ما تتداخل هذه المواضيع مع بعضها البعض، كما هو الحال في الكتاب Mademoiselle Haas «الآنسة هاس» مثلًا، وهو مجموعة قصصيّة، تجري أحداثها في ظل صعود الفاشية (بين عامي 1934 و1941)، وتحمل بطلاتها جميعهن، من «المكتبية والبوابة والطباخة والحلاقة والخياطة ومشغلة آلة الطحن والممرضة والكاتبة والمنظّفة والمعلمة والصحفية والخادمة المنزلية ومسؤولة

---

1 كومونة باريس هي حركة ثورية حاولت إقامة جمهورية ديمقراطية واجتماعية، بعد حصار باريس من قبل الجيش البروسي واستسلام الهيئة الحاكمة للمدينة في جانفي/كانون الثاني 1871. في 18 مارس/آذار استرجع السكان الباريسيون «السلطة» وأداروا المدينة، قبل أن تنتهي الحركة خلال الأسبوع الدموي (من 21 إلى 28 ماي/أيار) الذي كان بمثابة مذبحة جماعية أنهت الحركة. وكانت مثالا للديمقراطية في جميع أنحاء العالم.

الأشغال وعاملة المعادن وبائعة الكتب وعازفة البيانو والفيزيائية والنسَّاجة والقابلة والبائعة...»، الاسم نفسه: «هاس». وكانت من بينهن ألبرتين، خادمة منزلية، التي لو نطق جسدها لاشتكى من الألم والمعاناة؛ فهي مضطرّة للعمل في عدة منازل، وعند انتهاء عملها، يستقبلها زوجها مدمن الكحول بالعنف والأذية. تروي لنا الكاتبة قصة ألبرتين على خلفية من التفاصيل حول الأحداث التي شهدتها تلك الحقبة. ومن بين هذا الكم من التفاصيل المتسلسلة، تروي لنا جملة مختصرة أنّ «أحد العاطلين عن العمل في شارع الطريق الأخضر عاد إلى منزله حاملا قارورة النبيذ الأحمر بيده بعد أن استهلك معظمها، ليعتدي على زوجته مجددًا»، إنّها قصة ألبرتين.

هذا الاهتمام بإزاحة الستار عن تلك الأحداث التي تمر بسرعة كالسراب، ومحاولة رواية الجانب المأساوي منها والمخفي وراء تلك الكلمات القليلة، يعكس اهتمامًا أخلاقيًّا بأن نقف جنب المنسيين من التاريخ، جنب الذين ليس لديهم قصصا تُروى. بغض النظر عن المتخصّصين في الرياضيات، سنجد خلال قراءتنا لمؤلفات ميشيل أودان شخصيات من العمال والكومونيون والنساء من جميع الطبقات والمفقودين...

ثمانية كتب إلى الآن، وإن كان هذا الرقم غير دقيق، لأننا لم نعدّ تلك الكتب التي نشرت قبل «حياة موجزة»، بالإضافة إلى المقالات والمشاركات في الصحف والمدونات والمواقع الالكترونية المختلفة، وكذا العمل في مجال التحرير لبضع سنوات.

ولو ذكرنا فقط ما كتبته عن كمونة باريس، فهي أثرت أدبيات هذا الموضوع من خلال:

- مدونة تحتوي على مجموعة من الوثائق والمقالات والصور واستعراضات كتب وأفكار، يمكن الاطلاع عليها مجانًا على الرابط:

https://macommunedeparis.com/

- روايتين: Comme une rivière bleue «كنهر أزرق. باريس 1871» و«جوزيه مونييه، 19 شارع اليهود».

- ثلاثة أعمال تحرير أو إعادة نشر: نصوص Eugène Varlin أوجين فارلان (عامل تجليد كتب)، Alix Payeny أليكس باين (مُسعفة)، و

Camille Pelletan كامي بيلتان (مؤرخ وصحفي ورجل سياسة).

- كتاب بمثابة كشف حساب للأسبوع الدموي:

La Semaine sanglante : Mai 1871, légendes et comptes «الأسبوع الدموي: ماي 1871، الأساطير والحسابات»، حيث أن استخدام الأرقام

ليس مجرد تقدير رياضي بارد وجامد، وإنما، مرة أخرى، هو اهتمام أخلاقي: «كما قال الصحفي الراديكالي كامي بيلتان في زمنه، لا يتعين علينا أن نلقي بالجرائم والجثث على بعضنا البعض، وإنما علينا أن ننظر إلى هاته الجثث احترامًا للقيمة البشرية التي امتلكناها يومًا، وألاّ نتركها تختفي مرةً أخرى - وهذا ما يجرّنا أيضًا إلى تذكرهم، من كانوا وما فعلوا.»

نجد كل هذه الطاقة في شخصية ميشيل أودان، هذه الشخصية التي تربطها علاقة وطيدة بالأرشيف، والتي لعفويتها اقترحت عليها أن تجري هذه المقابلة بحديقة مكتبة التاريخ بمدينة باريس، لنتحدث عن مسارها المهني وأعمالها الأدبية وأعمالها الأخرى.

مبتهجة، دقيقة، لا تمت للجدّية بصلة (يجدر الاعتراف أنّه أمر نادرٌ وممتعٌ للغاية)، لعبت اللعبة حتى النهاية وردّت على جميع الأسئلة التي طرحتها عليها (وما أكثرها). لذلك أتقدّم لها بجزيل الشكر. وهكذا، ربما، بالإضافة إلى إشعاع اسم أودان في تقاطع الشارعين، يمكن له أيضًا أن يشعّ في مجال الآداب.

كان «حياة موجزة» أول كتاب ذو طابع أدبي قمت بتأليفه، ولكنه لم يكن أول كتاب نشرته. بدايةً، هل يمكنك اختصار مسارك قبل هذا الكتاب؟

كان مجال دراستي الرياضيات، لذا قمتُ بنشر مقالات وكتب بحثية في مجال الرياضيات، وأيضًا كتاب في الهندسة للطلاب الذين يستعدون لامتحان التأهيل لتدريس الرياضيات والذي استخدمه العديد من معلمي الرياضيات، ما جعله الأكثر مبيعًا من بين كتبي.

بالإضافة إلى ذلك، كتبتُ بعض الكتب المتعلقة بتاريخ علماء الرياضيات، أحدها عن عالمة الرياضيات الروسية، صوفيا كوفاليفسكايا، التي برزت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حظيت بحياة مثيرة وموجزة جدًا. يشمل الكتاب الرياضيات والتاريخ وقليلاً من الأدب كونها كتبت أيضًا روايات.

وكتبتُ أيضًا كتبًا عن علماء الرياضيات الفرنسيين للنصف الأول من القرن العشرين، ولكنني الآن توقفت عن فعل ذلك، أولاً، كونه يزعجني إلى حد ما أن يكون كل هؤلاء رجالًا، ثانيًا، عملت على أحد العلماء الذي كان قد شارك في الحرب العالمية الثانية، لكن عائلته لم تسمح لي للحديث عنه، هذا يعني أنهم منعوني من نشر مراسلاته مثلا.

وكذا، كتبتُ كتابًا عن جاك فالدبو، وهو عالم رياضيات من ستراسبورغ، وُلد في عام 1914 وتوفي في عام 1945..وما هذه إلّا مجرد تواريخ...

كان عالم رياضيات شابا، يمارس نوعًا من الرياضيات التي كنت أمارسها أيضًا، كان يهوديًا، فتم إجلاءه، وخلال عملية النقل توفي، بعد أوشفيتز. علمت منه كيف قام عدد من العلماء الفرنسيين بمنع زملائهم اليهود من النشر أثناء الاحتلال الألماني.

هل تكتبين هذه الكتب لأنك مهتمة بتاريخ العلوم؟

بالأحرى بتاريخ علماء الرياضيات بدلاً من تاريخ الرياضيات.

مساراتهم...

ليس فحسب، لأنه كان هناك على سبيل المثال عالم رياضيات خلال الحرب العالمية الأولى يُدعى غاستون جوليا، وكان يعاني من إصابة خطيرة في وجهه إثر تلقيه رصاصة، عاش بسبب ذلك حياة صعبة، ولكن، بما أنّ أكثر الرياضيين ذوي النفوذ آنذاك عانوا من مقتل أبنائهم في الحرب، فقد ساعدوه على تخطّي ذلك، ما أثّر على تاريخ الرياضيات.

إذاً، وجدتي نفسك في مفترق طريقي التاريخ والرياضيات.

نعم.

وكنت تفكرين آنذاك في مشاريع أدبية شخصية أكثر؟

نعم، فأنا دائما أكتب، حتى كتبي في مجال الرياضيات مكتوبة.

التحقتِ عام 2009 بالأوليبو.

نعم، بكل صراحة، عندما ألّفت ذلك الكتاب حول صوفيا كوفاليفسكايا، وكنت أعتقد أنني على وشك خلق محتوى جديد (ضحك)، إذ دمجت بين الكثير من المجالات: الرياضيات والتاريخ والمحاكاة الأدبية، كلها في آن واحد... كنت سعيدة جدًا، وكنت أعتقد أنني سأحقق نجاحًا كبيرًا (ضحك)، ولكن لم تسر الأمور جيدًا، خاصة أن الناشر كان متحمسًا لإصدار الكتاب لا لبيعه. أرسلت نسخة واحدة منه إلى الشاعر جاك روبو، الذي هو عضو في الأوليبو، ودُعيت إلى اجتماع هناك حيث تحدثت عن هذا الكتاب. وبعد بضعة أشهر، عُرض عليّ الانضمام إليهم، فوافقت. ساعدني ذلك كثيرًا في حياتي الأدبية لأنه أعطاني شرعية بالنسبة لنفسي، أصبحت أبيح لنفسي ما أرغب في كتابته.

هل يمكنك وصف نشاطات الأوليبو؟

هي مجموعة من الكتاب والاختصاصيّون في الرياضيات وغيرهم، يضعون «قيودًا» لكتابة النصوص الأدبية. تكون هذه التحديات أدبية (أشهرها «الكتابة بدون استخدام الحرف e») وقيودًا رياضية ونحوية وغيرها. وغالبًا ما يستخدمون هذه القيود هم أنفسهم، وبشكل علني؛ بمعنى أنّها لا توجد أي ملكية لهذه القيود، ويمكن للجميع

استخدامها بها بكل حرية. نجتمع، نحن أعضاء المجموعة، مرةً واحدةً كل شهر، منذ... نوفمبر/تشرين الثاني 1960.

قبل «حياة موجزة»، قمتِ بتأليف كتاب آخر ولكنه لم يُنشر، عنوانه Mai quai Conti «مَي كي كونتي».

بالضبط. عندما انضممت إلى الأوليبو، قالوا لي: «يجب عليك تقديم قيود رياضية لنا»، ولكن كان لديهم مجموعة لا بأس بها من القيود الأخرى، التصنيفية منها التي تعتمد على التبديلات أو عدد الحروف، وما إلى ذلك. لذا قلت لنفسي: «أنا عالمة هندسة، سأقدم لهم قيودًا هندسية». ثم قدّمت لهم فكرة تمثلت في أخذ شكل هندسي يوضح نظريةً ما، وكتابة نص بناءً عليه. مثلا، يمكن أن تكون النقاط شخصيات، والنقاط الثلاث متجاورة تعني علاقة بين الشخصيات الثلاث المعنية، وما إلى ذلك. قمت بذلك باستخدام مثال معقد نسبيًّا، نظرية باسكال، وكانت كالتالي: هناك قطع ناقص وستة نقاط على هذا القطع، قررت أن يمثل هذا القطع الناقص قاعة اجتماعات أكاديمية العلوم وأن تمثل النقاط الستة ستة أعضاء من الأكاديمية، أمّا النقاط الأخرى التي تم الحصول عليها من الستة الأولى، فتمثل شخصيات أخرى، ورويت قصة باستخدام ذلك.

رغبت في كتابة شيء يتحدث عمّا يفعله علماء الرياضيات ولكن بشكل دقيق في الزمن، وكانت أكاديمية العلوم مفيدة جدًا: يجتمعون كل اثنين، مع تخصيص مجموعة من منشوراتهم لكل اجتماع، وتحديد تواريخ معينة للنظريات المقدَّمة بصفة خاصة.

كذلك كمونة باريس، كانت ملائمة جدا، لأنها كانت قصيرة، قد لا يسعدهم سماع ذلك (ضحك)، لكنها لم تدم أكثر من عشر أسابيع. وكان من المهم معرفة ما فعلته أكاديمية العلوم خلال كومونة باريس، حيث كان عدد العلماء فيها قليل جدًا، إذ غادر الكثير منهم باريس، كونهم من الطبقة البرجوازية، ومعظمهم معادي للجمهوريين، ولكن كان يأت هؤلاء الذين بقوا بباريس كل اثنين لأنهم أرادوا أن يثبتوا استمرارية العلم. أما الجمهوريون، فأرادوا أن يكون العلم للشعب خاصةً، إذ كانت ترسل الجريدة الرسمية للثورة صحفيًا إلى أكاديمية العلوم كل أسبوع. كنت سعيدة جدًا بكتابة ذلك ومسرورة، ولكن لم يرغب أي ناشر في نشره (ضحك)، يمكن قراءته على الإنترنت https://www.oulipo.net/fr/mai-quai-conti

في الواقع، أجد أنني استمتع أكثر بتأليف الكتب من انشغالي بنشرها (ضحك).

جلبتي إذا تحديات جديدة إلى الأوليبو...

نعم. ولكن كما قلت، يمكن لأي أحد القيام بالتحديات الأوليبية، ولكنني لا أعتقد أن هناك من قام بالتحديات الهندسية، ربما قد يحدث ذلك يوما.

دعينا نتابع حديثنا حول «حياة موجزة»... تقولين منذ البداية أنه ليس كتابًا عن «قضية أودان»، وأنّ هذه القضية بالنسبة لكِ هي في المقام الأول قضية شخصية.

المشكلة في الأمر أننا لا نتحدث أبدًا عن والدي إلا للقول بأنه متوفّى، مفقود... صحيح أنّ هناك جانبا يوحي أنها «قضية شخصية»، لكنها لا تبدو أنّها تهم أحدًا.

عندما ألّفت هذا الكتاب، كان الوقت قد تأخّر، إذ إنّ جدّاي كانا متوفيان ولم أحظ بروايتهما للأحداث، وكانت أمي قليلة الحديث، فكنت مفتقدة لمزيد من المصادر التي كانت ضئيلة. لذلك كنت أقوم بالبحث عن آثارٍ هنا وهناك واستندت إليها ما استطعت، وفي الأخير تمكنت من كتابة شيء عن الحياة.

هل أدركت خلال كتابتك للكتاب أنكِ لا تحتاجين إلّا تخيّل والدكِ وهو يجولَ شارع السوربون، لتصبح تلك ذكرى من الذكريات (حتى لو لم تحدث أبدًا).

إحدى الأشياء التي تعلمتها عند تأليف هذا الكتاب هو امكانية الآثار في أن تنتج، ربما لا تنتج ذكريات، ولكنها تنتج نصًا وسردًا وقصةً. فمثلًا، أبعد شيء عن الأدب دفتر الحسابات طالما أننا لم نكتب فيه. لكنني بالطبع، لطالما فكرت في ماهية الذكريات.

يذكرني هذا كثيرًا بجورج بيريك، كيف ساعدتك قراءة مؤلفات بيريك في الكتابة؟

في كتابه W ou le souvenir d'enfance («و أو ذكريات الطفولة»)، يقول بيريك: «ليس لدي أي ذكريات طفولة.» لقد شغل ذلك تفكيري، لأنني إذا ما فكرت في ذكريات طفولتي، فإن معظمها كانت أمورًا حدّثتني عنها أمي في صغري. أمّا أخي بيير، الذي لم يكن عمره سوى شهر واحد عندما توفي والدي، قال لي أنّ ليس لديه أي ذكريات طفولة. لم يكن ممكنًا لأمي أن تقول له: «هل تتذكر؟ كنت مع والدك تفعل هذا أو ذاك...». لذا أعتقد أن قول بيريك «لا ذكريات طفولة» يعبّر بالضبط عن أنّه بعد مقتل والدَيه لم يبقَ من يحدّثه عن طفولته.

أشعر وكأنّ الكثير من ذكريات طفولتنا تُخلق على أساس ما قاله لنا أحدهم. وأشعر أيضًا أنّه وبمجرد أنّ نكتب شيئًا عن تلك الذكريات، فإننا نجمّدها. لذا، كما ذكرت في «حياة موجزة»، هناك أشياء أعتقد أنني أتذكرها ولكنني فضلت عدم كتابتها.

للحفاظ عليها؟

نعم.

بما أننا نتكلّم عن الذكريات، كما تعلمين أنك عشتِ فقْدَين في حياتك، الأول إيجابي: فقدان الاستعمار، والثاني سلبي: فقدان البيئة الذي عاشت فيها عائلتك، خاصةً أنّك ترفضين بشدة «حنين الأقدام السوداء».

لا أعرف ما إذا كان هذا سلبيًّا تمامًا.

لطالما تعرضت للتوبيخ بسبب هذه القصة المتعلّقة بحنين «الأقدام السوداء»! (ضحك)، لكني متمسكة برأيي!

فمثلا، وفيما يتعلق بـ «حنين الأقدام السوداء»، غالبًا ما تُروى تلك النظرة الأخيرة التي ألقوها على الجزائر العاصمة على متن سفينة مغادرة في عام 1962، لكننا رحلنا عام 1966 على متن قطار!

لقد تغيّرت الجزائر اليوم كثيرًا، لم تعد نفس المدينة على الإطلاق؛ تغيّر سكانها وتغيّرت الأماكن فيها. وليس لدينا سببٌ للحنين إليها، لأنّنا أردنا أن تختفي، فاختفت، وهذا كل شيء.

لكنكّ فقدت هناك شيئًا من جذورك.

لقد فكّت تلك العلاقة، ومن المؤكّد أنّه لم يعد ذلك هو وطني كوننا رحلنا عنه. هذه مشكلة أيضًا، ولكن لم يكن كتابي «حياة موجزة» الموضع المناسب لمناقشتها.

تشيرين إلى أنك ترغبين في التشبث بالذاكرة الجماعية التي تفلت منك.

بالتأكيد، لقد نشأت في بيئة آمنت بما يسمى «بالحلم الجزائري»، كنا جميعنا في ذلك الوطن الذي كاد أن يكون وطننا، ولكن في نهاية المطاف لم يكن الأمر كذلك (ضحك).

لم يكن الأمر سهلاً فقد واجهت بعض الصعوبات في تغيير الوطن (في تفكيري).

ذهبت إذاً في رحلة بحث عن تلك الرغبة في التشبث بتلك الذاكرة الجماعية في أماكن أخرى...

في تاريخ كومونة باريس، مثلا، وتاريخ المرأة عمومًا.

اهتمامك كبير تجاه مصير اليهود خلال الحرب العالمية الثانية...

تُعدّ المحرقة نوعًا من المصير الجماعي. في حين تملكني عند وصولي إلى فرنسا شعور قوي جدًا بأننا الوحيدون من بني جلدتنا.

أجل، ربما كانت تلك وسيلة للتشبث بشيء ما.

رغم الموضوعية السائدة في كتابك «حياة موجزة»، إلّا أنّ العاطفة تتسرّب من المواضع التي ذكرت فيها أنّ شيئا ما ينقصك، هل كان ذلك نوعا من التحفظ؟

نعم، أمام تعبيري عن الألم.

هل يمكننا أن نربط تخصصك في الرياضيات بوالدك...

لزمني أن أشرح عشرات المرات أنّني لم أرث ذلك عن والدي، وإنّما درست الرياضيات مع أمي منذ صغري، كونها كانت مدرِّسة لهذه المادة. وكما ذكرت آنفاً، كانت أمي قليلة الكلام، لذا كانت الرياضيات لغة ممتازة نتحدّث بها دون صعوبة. كانت أمي حقًّا من نقلت لي نفحة الرياضيات دون أدنى شك.

فيما يخص الرياضيات، هناك كتاب لا يحدثك الكثيرون عنه، وهو رواية La formule de Stokes **(«صيغة ستوكس»).**

هذا كتاب ألّفته تقريبًا في نفس فترة تأليفي لكتاب Cent vingt et un jours («مئة وواحد وعشرون يومًا»)، وبَطَلتُه صيغة رياضية تسمّى صيغة ستوكس. هذا الكتاب رواية تاريخية، وهو مُقيّد شيئًا من حيث الشكل، فجميع القصص مرتبة حسب التواريخ، وكأن الأحداث تقع في سنة واحدة، وليس بتسلسل زمني، لذا يمكن أن تتتابع القصص دون أن تكون قد وقعت بهذا الترتيب.

أجد هذه الصيغة الرياضية جميلةً للغاية وليست سهلةَ التفسير بتاتاً، خاصة لأولئك الذين لا يملكون خلفية رياضية. ورغم صعوبتها إلّا أنّ تاريخها جميل، كجمال تاريخ الكثير من عالمات وعلماء الرياضيات الذين ساهموا في تطوير هذه الصيغة.

لديك رغبة في تعميم الرياضيات.

رغبتي تشمل تعميم كل شيء: التاريخ والرياضيات... إنّها قضية ديمقراطية!

بالنسبة لك، هل الرغبة أو الحاجة إلى استخدام القيود من أجل الكتابة مرتبطة بالرياضيات؟

نعم، أعتقد أنّ تحدّي الأدب الذي يكمن في الجمع بين الدقة والخيال هو نفسه في الرياضيات.

سأضرب لك مثلًا. من بين ستين شخصاً، عملت عن بعد مع شاعر أمريكي يُدعى Guy Bennett غاي بينيت، والذي ألّف «قصيدة بتعليمة»، حيث أرسل تسعة وتسعين تعليمة، على ما أظن، إلى خمسين أو ستين شخصًا، من أجل كتابة قصائد تبعًا لتعليمات من اختيارهم،

وكانت إحدى التعليمات: «كتابة قصيدة لا تكرر فيها أي كلمة مرتين»، وكان لدينا الحق في طرح الأسئلة، فقمت بطرح سؤال رياضي: هل يُقصد بـ «مرتين» «مرتين بالضبط»؟ واستدللت كعالمة رياضيات:

مرة واحدة

مرتين

ثلاث مرات

قال لي: «هذا ذكي جدًا» بالإنجليزية. كان أمريكيًّا ويجيد اللغة الفرنسية. أعجبني ثناءه، لأنّه كان عضوًا في أوليبو.

أمّا صديقي Paul Fournel بول فورنيل، الذي لم تكن لديه أي خلفية رياضية على الإطلاق ولكنه كاتب من كتاب أوليبو، فاختار تعليمة مختلفة تمثلت في: كتابة قصيدة لا تدرك أنها قصيدة.

قيل له «هذه تعليمات، وليست قيودًا»، فأجاب: «وجهة نظر». وجدت ذلك أيضًا «ذكيًّا جدًا». فهناك جانب من الصرامة والبساطة القريب من الرياضيات.

إذا أراد أحدهم القيام بأبحاث في الرياضيات وإثبات نظرية جديدة، فعليه أوّلًا أن يصيغ النظرية بشكل جيد وواضح وغير قابل لإعادة الصياغة، ثم عليه أن يكتب برهانًا واضحًا بما يكفي لإقناع الآخرين. أترى/ واضحًا مدى قرب هذا من ذاك؟

هناك شيء يتكرر كثيرًا في مؤلّفاتك، ألا وهو تجزئة النصوص، بحيث أنني لو حاولت تلخيص «مئة وواحد وعشرون يومًا» على سبيل المثال، فسأجد صعوبة كبيرة في ذلك، أليس لجوئك للقيود هو أيضا وسيلة لهيكلة مؤلفاتك؟

نعم، وهناك أيضًا رغبة في استنفاد الواقع.

مثلًا، في كتابي Comme une rivière bleue «كنهر الأزرق»، هناك فصل تدور أحداثه في منزل عائلة ماركس بلندن، حيث ترغب جيني (ابنة ماركس) في فهم ما يحدث بالضبط في باريس. ثم يصف الفصل التالي باريس بدقة من شروق شمسها إلى غروبها، باستخدام الأسلوب الشعري سيستينا. تكمن الفكرة في استنفاد كل ما يمكن أن نعرفه حول ما حدث في ذلك الحين وذلك بجمع المعلومات من الصحف والأخبار والسجلات المدنية والتقاويم وأحوال الطقس والقمر... إلخ. ولابد من تجزئة النصوص إذا أردنا وصف كل ذلك.

وكأنّها عملية مونتاج.

نعم.

في «مائة وواحد وعشرون يومًا»، الراوي الذي يرينا مونتاج المواد هو مؤرخ، ومع ذلك، يبدأ الكتاب بحكاية.

نعم، جاء الفصل الأول محاكاة لحكاية كيبلينج «ابن الفيل (قصص)»، حيث يحكي الراوي قصّة لابنته.

تقولين أنّ كل شيء حقيقي (مستشهدة بما قاله بالزاك)، ولكنك توضحّين أنها قصة من وحي الخيال، هل أتاكِ الإلهام من فكرتك عن التاريخ أم كنت مضطرة بالمراوحة بين الحقائق الواقعية؟

لا أعرف ما إذا كانت لدي فكرة عن التاريخ آنذاك، ففي الفترة التي كتبت فيه هذا الكتاب، لم أكن أعرف الكثير عن التاريخ، كنت أكتشف عددًا من التقنيات.

يحتوي هذا الكتاب على ما يلي: فصل أساسه صورة، وآخر أساسه ما يرويه أحد الشخصيات، ثم سرد ليوميات ألماني (نازي)... لكل فصل قسط من التاريخ، حاولت أن أقطف من كل بستان زهرة، من الخيال إلى الحكاية في البداية، ثم إلى المقالات الصحفية... وهكذا. ولا أعتقد أنني كنت أتمتّع بتلك الرؤية عن التاريخ، ولكنني كنت أتساءل عمّا يستخدمه المؤرخون؟ ما الذي يوجد في الأرشيف؟ هل هناك صور، مذكرات شخصية... أمّا يوميات الألماني، فكانت وثيقة نُشرت بصفة رسمية، وكانت تحاكي وثيقة أرشيفية، وتشبه فكرتها إلى حدّ كبير الفكرة التي كنت أرغب في تطبيقها في البداية. كنت قد حدثتك في بداية هذه المقابلة عن نشر المراسلات بين هذين الرياضيين، الفرنسي المشارك في الثورة والألماني النازي، اللذان كانا يتبادلان الرسائل بانتظام، باللغة الفرنسية. تمكّن الألماني الذي كان في مدينة غوتينغن التي لم تتعرض للقصف من الحفاظ على كل تلك المراسلات، والتي يمكننا ايجادها في الأرشيف. وددنا نشرها لو وافق ذوي الحقوق على ذلك، ولكننا تلقينا موافقة الألمانيين فقط، وقوبلنا برفض الفرنسيين. كنت أقوم بذلك مع زميل، مؤرخ رياضيات، قال لي: «ماذا نفعل الآن؟» قلت: «سأكتب رواية».

لا يرغب الراوي المؤرخ في اعتماد تصنيف هرمي للأحداث الخاصة والأحداث التاريخية.

نعم، لأنّهما يتحركان بتناغم.

وهذا يتناغم مع الرغبة في سرد أمور عن الحياة الشخصية لأناسٍ أكثر من سرد الوقائع بحد ذاتها.

هذا ما يقوله كامو في ذلك الاقتباس الذي ذكرته في بداية كتابي «حياة موجزة»: «لا ينفصل دور الكاتب عن المهام الصعبة... فلا

يمكنه أن يكون اليوم في خدمة أولئك الذين يصنعون التاريخ، بل هو فيس خدمة أولئك الذين يتلقّون آثاره».

هذا ما يثير اهتمامي، أولئك الذين لم يصنعوا التاريخ، أولئك الذين يتلقون آثاره، أولئك الذين لا يُذكر اسمهم، أشخاصا مثل جدتي وجدي، هؤلاء الأشخاص النموذجيين الذين لم يكتبوا التاريخ.

موضوع النسيان يعود مراراً في كتبك.

أتكلّم في كتبي عن النسيان المتعلّق بالأشخاص، فأثناء عملي على كمونة باريس، وجدت أنّ العديد من النساء هُمّشن وحُذفن من التاريخ. ولا يزال العديد من المؤرّخين يفعلون ذلك إلى الآن. كم هو غريب أن نجد امرأة قامت بأمر ذا شأن في التاريخ، ولكنه قوبل بالحذف والنسيان. كنت قد تطرقت لهذا الموضوع في أول أسطر كتابي «الآنسة هاس»، أين أذكر أنّ الكثير من النساء حُذفن من التاريخ، مشيرة أنّ كل شخصيات الكتاب عشن ذلك.

هل تعمّدت غياب وجهات نظر المؤلّفين المشهورين في تلك الحقبة في كتابك «كنهر أزرق» من أجل إعادة التوازن؟ باستثناء Daudet دوديه الذي ذُكِر وصفه لباريس على أنّها «تحت سلطة السود»

في كتابي «كنهر أزرق»، خلقت شخصية «قدور» الجزائري، التي استلهمتها من دوديه. كنت غاضبة جدًّا من دوديه بسبب قصة قصيرة عنوانها Le Turco de la Commune «تركي الكومونة» والتي أثارت استياءي. إنها قصة فتًى صغير جاء من ولاية المديّة، أخذوه وأرسلوه ليحارب ضد بروسيا، ثم وجد نفسه في باريس، حاملًا بندقيته، لا يدري ما يحدث، رأى الناس يطلقون النار فأطلق النار، ما أحمقه! لم يستوعب ما يحدث، إلى أن تم قتله... لست أتذكر ان كان يحمل اسم قدور في القصة القصيرة.

تعبيرا عن احتجاجي، أدمجت هذه الشخصية في كتابي، وجعلتها شخصية رئيسية تشارك في كمونة باريس بكل وعي.

ما عدا ذلك، أعتقد أنني ذكرت أيضا جونكور الذي ذهب إلى بلفيل بعد انتهاء ثورة الكومونة وقال: «لقد هُزِموا ولكنهم لم يخضعوا»، وما أصحّ ذلك!

هل يشبه ذلك إصرار الراوي على مقارنة وحشية الشرطة تجاه الجمهوريين مع تلك تجاه «السكان الأصليين» إبّان استعمار فرنسا للجزائر؟

ليست الشرطة بل الجيش لمن مُنحت صلاحيات الشرطة، وعلى صعيد مدينة كبيرة مثل باريس، كان ذلك ابتكارا جيدا. وبالطبع، بما أنّ

هذا «المشهد» يتطرق إلى معركة الجزائر، تكون المقارنة مفروضة، وخاصة فيما يتعلق بطريقة حديث الصحفيون والسياسيون، آنذاك، أي عام 1871، عن الطبقة الكادحة في باريس جعلني ذلك أتذكر الطريقة التي كنا نتحدث بها عن «السكان الأصليين» للجزائر العاصمة حين كنت طفلة (أنهم قصار القامة، هزيلي الجسم، قذرين، لصوص... ما إلى ذلك).

شخصيات هذا الكتاب يعيشون في عام 1871، وهم غير مدركين بأنهم يخوضون ثورة كومونة باريس.

لا، ليس جميعهم. كانوا سعداء يستمتعون بالحفلات، ثم آتتهم الرغبة في التغيير، ربما تغيير العالم، ومن ثم قُتلوا.

وبالموازاة، نجد الراوي الموجود في الحاضر يصف أحداث هذه القصة ويمعن فيها.

أول ما ينوه إليه الراوي وجود عدد لا يحصى من الأشخاص الذين فُقِدوا، ثم تسأله المرأة التي يخاطبها: «ماذا يعني الفقدان؟» سؤال جيد (ضحك).

إذا، أسألك السؤال نفسه: ماذا يعني الفقدان بالنسبة لك؟

سؤال صعب لابنة شخص كان مصيره الفقدان، قد أعرّفه لكم بشكل قانوني على أنّه عدم امتلاك شهادة وفاة.

بالنسبة للبعض، وبعد مرور بعض الوقت، يتم إصدار حكم يعلن وفاتهم ويتم تسجيلهم في الحالة المدنية، ولكن بالنسبة لمفقودي حرب الجزائر، أفترض أن يكون هذا شيئًا نادرًا جداً.

في الأول من ماي 2016، شرعت في كتابة مدونة عن كمونة باريس، والتي لا تزال تُحدَّث حتى الآن.

منذ ذلك الحين قمت بنشر ألفًا ومائة مقالة إلى اليوم، بمعدل مقالة كل أربعة أيام، ولدي ما يكفيني من المحتوى إلى غاية شهر أكتوبر/تشرين الأول من العام القادم. أشعر في بعض الأحيان بأنّ الأمر قد انتهى، ثم أجد شيئًا جديدًا لم يتحدث عنه أحد.

هل قمت بإنشاء المدونة في البداية لكتابة كتاب «كنهر أزرق»؟

عندما أردت كتابة «كنهر أزرق»، قرأت كثيرًا وتعلمت كثيراً. ولكن فاق ذلك ما كنت أحتاج تعلمه... كنت أعرف أكثر مما أحتاج لكتابة رواية، وكان ذلك يزعجني. قلت في نفسي: «ماذا يمكنني أن أفعل؟»، ثم أتتني فكرة إنشاء المدونة، أردت نشر ثلاث أو أربع مقالات للتخلص من فائض تلك المعلومات والتمكن من كتابة الرواية، وكان هذا ما

حدث... إلا أن المدونة اتخذت بعدا آخرا واستمرت في التوسع، ثم قررت القيام بالاثنين معا.

كيف يقع اختيارك من بين كل هذه المعطيات على تلك التي تضعينها في كتاب؟

في الواقع، الأمر الذي أثار استفزازي هو قراءتي للكثير من المعلومات الخاطئة، ولا يمكنني كتابة رواية باستخدام قائمة من الحماقات التي كتبها الآخرون. لكن كوني ذات طابع يميل قليلا إلى الصرامة والسيطرة، لم أستطع كتم ما يجب قوله، ووضعت ذلك في المدونة، التي كانت نوعًا ما «مليئة جدا».

ولكننا لم نتحدث عن «جوزيه مونييه، 19، شارع اليهود» الذي أعتبره كتابي المفضل!

فلنتحدث عنه إذاً! أعتقد أنها أكثر روايتك رومنسية!

بأي معنى؟

بمعنى أنّ الراوي يختفي عند سرد الشخصيات لقصصهم، غير شخصية جورجيت...

في الحقيقة، كانت جورجيت ترغب كثيرًا في تأليف الكتاب (ضحك).

«جوزيه مونييه» هو رواية حب، لطالما حلمت بكتابة رواية حب.

تساعد عاملة باريسية ذلك الجمهوري ألبرت ثيس على الاختباء، ثم على مغادرة باريس بعد الأسبوع الدموي، ثم تلتحق به إلى لندن. وردتنا أخباره من أحد الجواسيس الذي تحدّث عن دعم أحد عاملات مغسلة بلندن له، لكن لم يعرف عنها شيئا آخرا ولا حتى اسمها، ولم يتحدث أحد عنها آنذاك... فوضعت طيّ النسيان.

إنها بطلة الرواية.

وماذا عن الأرشيف؟

ليس هناك سوى هذا التقرير من الجاسوس، هل تستوعبون ذلك! عاملة، لم تخرج أبدًا خارج أسوار باريس، ركبت القطار وذهبت إلى إنجلترا، لتحط رحالها بلندن...هكذا... لم تتعلم الإنجليزية في المدرسة، ليس مثلما هو الحال اليوم! تركت زوجها من أجل الالتحاق بحبيبها، ولا أحد يعرف من هي! ولكن، على الأقل هي موجودة الآن في كتابي (ضحك).

هل الخيال بالنسبة لك هو ما يسد فجوات الأرشيف؟

نعم! في هذا الكتاب وبكل وضوح. لقد راودتني هذه الفكرة خلال كتابتي كتاب «نسيان كليمانس»، الذي جعلني أبحث عن معلومات حول هذه المرأة، كليمانس جانت، عاملة في صناعة الحرير، توفيت في سن الواحد والعشرين من عمرها، أثناء كتابتي لـ «حياة موجزة». إنها تماما تلك المرأة التي ليس لديها تاريخ، سوى ذلك الذي سجل في الحالة المدنية، ليست مفقودة، وتملك شهادة ميلاد وشهادة زواج وشهادة وفاة، ولكننا لا نعلم شيئًا عنها.. أظن أنّ هذا أقصى ما يمكنني سرده عنها دون خيال.

امرأة أخرى تدعى ماريا فيردور، واحدة من بطلات كتابي «كنهر أزرق»، كنت أفكر في خلق قصة حب من وحي الخيال لهذه المرأة الحقيقية، ثم تذكرت أنّ الجميع سيكتب لي «لا، ليس هذا ما حدث.» رغم أنّ لا أحد يعرف شيئًا عنها.

حسنا ...على الأقل، نعرف اسمها.

وكيف تبحثين عن المعلومات المتعلقة بالحياة اليومية للعمال؟ ما يتحدثون عنه، وما يأكلون، والأشياء التي يستخدمونها...

الأشياء، نعم، لهذا بدأت «جوزيه مونييه» بجرد، حاولت من خلال ذلك معرفة ما كان موجودا في منازل الشخصيات. أمّا بالنسبة للبحث، فإنه بسيط: كل ما عليك فعله هو قراءة كتب العصور الوسطى ثم إطلاق العنان لخيالك. كان ذلك ممتعا لأنني أحب روايات القرن التاسع عشر جدًا، لكن للأسف، يوجد القليل جدًا من الكتب التي تدور أحداثها في تلك الحقبة...

في هذه الحالة، تحصلت على وصف دقيق جدًا للمسكن، قرأته في الأرشيف.

زرتِ المكان؟

هكذا سارت الأمور: ذهبت إلى أرشيف شرطة باريس، بحثت عن معلومات حول أدولف كليمانس، جمهوري ومجلّد كتب، وجدت له ملفا، فتحته، فوجدت ذلك الشرطي، برليوز، الذي كُلِّف بتفتيش منزله بحثا عنه، والذي قال: «هذا المبنى متاهة حقيقية.» وورد أنّ البوّابَة هي عمة الشاب الجمهوري (إذاً مشتبه بها)، نظرت إلى المبنى المشار إليه (تغير العنوان لكن لم يتغير المبنى)، كان مبنى صغير مربع الشكل، ذهبت أبحث عن تفاصيل أكثر عنه في أرشيف باريس، وبعدها ذهبت إلى هناك. وجدنا الباب مغلقا، ولكن تمكنّا من الدخول، صعدت الطوابق ولم تكن تشبه المتاهة! فهمت عندها أنّ العمّة البوابة قد لعبت عليه وسخرت منه! عندها قررت أن أؤلف كتابا عن ذلك.

المعلومة الوحيدة التي كنت أعلمها عن مكان اختباء ألبيرت ثيس هي تواجده بمدينة ماري أين يوجد هذا المبنى. رسّخت هذه المعلومة في دماغي وكتبت تاريخا بها.

في الواقع، «باريس، نهج فولتير» آخر اصداراتك، هو الكتاب الوحيد الذي تحدثت فيه باسمك الخاص بدون الحاجة إلى المرور بمرحلة جمع المعلومات من الأرشيف.

هذا ما يمكن اعتقاده! ... لكن الحقيقة ليست كذلك على الإطلاق!

أروي بين سطوره العديد من القصص التي جرت بنهج فولتير في باريس. وقعت أحداث إحدى هذه القصص بقاعة سينما تواجدت في ذلك الشارع منذ القدم، وخاصة في الثمانينيات. رويتها بالضمير المتكلم المفرد حيث رويت «حياتي» «أنا» في قاعة السينما خلال عام 1982، بمفردي ثم مع حبيب لي، واعتقَد العديد من أصدقائي أنني أروي خلالها كيف قابلت صديقي، ولكن ما يضحكني هو أنّ كل ذلك غير صحيح، بل إنه خيال بحت، استندت فيه إلى الأرشيف... ذهبت إلى المكتبة الوطنية، وطلبت «الموسوعة الرسمية للعروض الفنية» (لأوت وسبتمبر 1982، وهو ما استخدمته كمرجع)، وتفحصت برامج السينما في الدائرة الحادية عشر لباريس، وكتبت هذه القصة.

لقد أخبرت الناشر عن آراء القرّاء، أسعده ذلك جدا: « إذا كان الجميع يعتقد أن القصة حقيقية، فقد نجحنا!»